المحاضرة الأولى:

القراءات القرآنيّة: المفهوم والنّشأة

أوّلا: مفهوم علم القراءات القرآنيّة

مفهوم علم القراءات:

أ .لغة: جمع قراءة، وهي مصدر قرأ يُقال: قرأ، يقرأ، قراءة، وقرآنا، بمعنى تلا، فهو قارئ.

ب .مفهوم علم القراءات اصطلاحا: العلم الذي يعنى بكيفية أداء كلمات القرآن الكريم، واختلافها معزوا إلى ناقله أو هو: علمٌ بكيفيّات أداء كلمات القرآن الكريم، من تخفيف، وتشديد، واختلاف ألفاظ الوحيّ في الحروف. وموضوعه كلمات القرآن من حيث أحوال النّطق بها وكيفية أدائها.أما استمداده فمن النّقول الصّحيحة المتواترة عن علماء القراءات الموصولة إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلم.

مصدر القراءات:

القراءات القرآنيّة المتواترة هي جملة ما بقي من الأحرف السّبعة، التي نزلت على النبي صلّى الله عليه وسلم، ومصدرها الوحيد هو الوحي الذي نزل به جبريل -عليه السلام- على النّبي صلّى الله عليه وسلم عن طريق النّقل الصّحيح المتواتر، قال الله عز وجل:

"إن هو إلا وحي يوحى علمه شديد القوى" [سورة النّجم: 3 - 5].

والقراءات القرآنيّة توقيفية، فلا مجال للرأي والاجتهاد في تحديد، ونسبة القراءات للقراء -كما ذكر أبو عمرو الداني وغيره- هي نسبة اختيار ودوام ولزوم ورواية واشتهار، لا نسبة اختراع ورأي واجتهاد.

القرآن والقراءات:

إنّ القرآن والقراءات المتواترة حقيقة واحدة باعتبار كونهما وحيا من عند الله تبارك وتعالى؛ فالقراءات المتواترة والاختلاف الثابت عن النبي صلّى الله عليه وسلم في بعض الكلمات جزء من الوحي النازل على النبي صلّى الله عليه وسلم.

والقرآن والقراءات حقيقتان متغايرتان باعتبار طبيعة كل منهما، فإن القرآن هو كل ما نزل من عند الله عز وجل سواء كان بوجه أو وجوه ونقل بالتواتر، وهو في الحالتين نزل للإعجاز والبيان، والقراءات بنوعيها المتواترة والشاذة؛ وهي الكلمات المختلف فيها.

ولذا فإن القرآن الكريم أعم من القراءات القرآنيّة المتواترة، كما أن القراءات الشاذة ليست من القرآن، والقراءات القرآنيّة المتواترة جزء من القرآن، ولا تنافي بينهما، فكل قراءة

صحيحة ثابتة عن النبيّ صلّى الله عليه وسلم هي بعض من أبعاض القرآن الكريم، نزلت رخصة وتخفيفا على الأمة كما ثبت ذلك في أحاديث الأحرف السّبعة.

ثانيا: نشأةُ القراءات القرآنيّة:

فيها ثلاث مراحل:

المرحلة الأولى: القرآن والقراءات في زمن النّبوّة:

ويمكن إجمال هذه المرحلة في الآتي:

1 - تعليم جبريل عليه السّلام النّبيَّ صلّى الله عليه وسلم القرآن والقراءات.

2 - تعليم النّبي صلّى الله عليه وسلم الصّحابةّ القرآن الكريم امتثالا لقول الله تعالى: "وقرآنا فرقناه لتقرأه على الناس على مكث ونزّلناه تنزيلا" [سورة الإسراء: 106]

وقد ورد عن عثمان وابن مسعود وأُبيّ بن كعب رضي الله عنهم: «أنّ رسول الله صلّى الله عليه وسلم كان يقرئهم العشر؛ **أي:** عشر آيات فلا يجاوزونها إلى عشر أخرى حتى يتعلموا ما فيها من العمل، فيعلمهم القرآن والعمل معا».

3 - تعليم بعض المسلمين بعضا آي القرآن وسوره، وكان ذلك بأمر النبي صلّى الله عليه وسلم وإقراره، فأول من قدم إلى المدينة لتعليم المسلمين القرآن الكريم من أصحاب رسول الله صلّى الله عليه وسلم مصعب بن عمير وإنه نزل دار القراء وكان سمي بالمقرئ، وعبد الله بن أم مكتوم، ثم بلال وعمار رضي الله عنهم، ولما فتح النبي صلّى الله عليه وسلم مكة ترك فيهم معاذ ابن جبل رضي الله عنه لتعليم المسلمين القرآن.

4 - ظهور طائفة من الصّحابة يتدارسون كتاب الله عز وجل يسمون **(**بالقراء**)**، وهو **بداية** نشوء هذا المصطلح، وكانوا سبعين رجلا شببة كانوا إذا أمسوا أتوا ناحية المدينة فتدارسوا القرآن، وهم الذين قتلوا في غزوة بئر معونة.

5 - تصدّي بعض الصحابة لحفظ القرآن عن ظهر قلب في زمن النبي صلّى الله عليه وسلم، ومنهم: أبو بكر الصديق، وأبي بن كعب، عبد الله بن مسعود، وعثمان بن عفان، عليّ بن أبي طالب، وغيرهم كثير رضي الله عنهم جميعا.

المرحلة الثّانية: القرآن والقراءات في زمن الصّحابة والتّابعين:

ويمكن إجمال هذه المرحلة فيما يلي:

1 - تلمذة جماعة من الصّحابة والتّابعين على جماعة من الصّحابة رضي الله عنهم، فقد قرأ أبو هريرة وابن عباس وعبد الله بن السائب وعبد الله بن عياش وأبو العالية الرياحي قرأوا على أُبيّ بن كعب، وقرأ المغيرة بن أبي شهاب المخزومي على عثمان بن عفّان، وقرأ الأسود بن يزيد النّخعي على عبد الله بن مسعود.

2 - بدأ أخذ بعض وجوه القراءة المختلفة، ونقلها بالرّواية، وكان هذا في النّصف الأوّل من القرن الأوّل.

3 - تعيين الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنهم مقرئا خاصّا لكل مصر من الأمصار التي بعث إليها بمصحف، وتوافق قراءته قراءة أهل المصر المرسَل إليهم في الأكثر الأغلب، والمشهور أنّ المصاحف التي أرسلها عثمان إلى الأمصار خمسة، وفي هذه المرحلة بدأ التمييز بين القراءات الصحيحة المعتبرة، والقراءات الآحادية والشاذة، وبدأت تنتشر الروايات الشاذة، وهذا التمييز أساسه التلقي وموافقة الرسم العثماني.

وقد أرسل عبد الله بن السّائب المخزوميّ إلى مكّة، وأبو عبد الرحمن السّلميّ إلى الكوفة، وكان قبله ابن مسعود حينما أرسله عمر ابن الخطاب رضي الله عنه، وعامر بن عبد قيس إلى البصرة، والمغيرة ابن أبي شهاب المخزوميّ إلى الشّام، وجعل زيد بن ثابت مقرئا في المدينة، وكان هذا في حدود سنة ثلاثين من الهجرة.

4 - إقبال جماعة من كلّ مصر على المصحف العثمانيّ لتلقي القراءات وفق ما تلقاه الصحابة عن النبي صلّى الله عليه وسلم.

5 - تجرّد قوم للقراءة والأخذ والاعتناء بضبط القراءة، حتى صاروا أئمة يقتدى بهم في القراءة، وقد أجمع أهل بلدهم على تلقي القراءة منهم بالقَبول، ولتصديهم للقراءة نسبت القراءة إليهم، نذكر منهم: بالمدينة: أبو جعفر يزيد بن القعقاع، شيبة بن نصاح ونافع بن أبي نعيم، بمكة: عبد الله بن كثير، حميد بن قيس الأعرج، ومحمد بن مُحيصن، بالكوفة: يحيى بن وثاب، عاصم بن أبي النّجود، سليمان بن مهران الأعمش، حمزة الزّيّات الكسائيّ، (الشأنُ نفسه بالبصرة والشّام).

لقد كانت هذه الفترة تمهيدا للمرحلة التي بعدها، وهي فترة التدوين لروايات القراءات مع توفرها وبروزها ووضوحها.

المرحلة الثّالثة: بدء التّأليف والتّدوين في القراءات:

1 - بدء التأليف في علم القراءات، وقد اختلف المؤرّخون في أول من ألف في علم القراءات، فذهب الأكثر إلى أنه الإمام أبو عبيد القاسم بن سلام (ت 224 هـ)، وذهب ابن الجزري إلى أنه أبو حاتم السجستاني (ت 225 هـ)، وقيل غير ذلك، ويلاحظ أن هذه المصنّفات لم تقتصر على عدد معين من القراءات.

2 - تسبيع السّبعة والاقتصار على جمع مؤلفاتهم في مؤلف خاص، وذلك في كتاب (السبعة في القراءات) لأبي بكر أحمد بن موسى بن العباس بن مجاهد التميمي البغدادي (ت 32هـ) وبدأ ظهور شروط القراءة الصحيحة، وتمييز الصحيح من الشاذ، فإن اختيار ابن مجاهد السبعة يشعر بأن ما سواها شاذ.

3 - بعد تسبيع السبعة، وتشذيذ القراءات الشواذ، جاءت مرحلة الاحتجاج للقراءات في جوانبها اللغوية من صوتية وصرفية ونحوية.

4 - توالي التّأليف في القراءات السبع، ومن أبرز هذه الكتب **«التيسير»** لأبي عمرو الداني (ت 444 هـ) ، وتعدّ هذه الفترة المرحلة الفارقة بين القراءات الصحيحة والقراءات الشاذة، باشتهار كتاب التيسير.

5 - جاءت مرحلة تفريد القراءات وتسديسها وتثمينها وتعشيرها دفعا لما علق في أذهان كثيرين من أن الأحرف السبعة الواردة في الحديث الشريف هي القراءات السبع التي جمعها ابن مجاهد.

والمقصود بالتفريد إفراد قراءة واحدة بالتأليف، والتسديس: ذكر ست قراءات في مؤلف واحد وهكذا. والهدف من ذلك أمران:

1 - إزالة ما توهمه كثيرون من أن القراءات السبع هي الأحرف السبعة.

2 - بيان أن هناك قراءات أخرى غير السبع مقبولة وصحيحة.